جامعـــــــــــــة بسكـــــــــــرة

كليـــــــــة الآداب واللغـــــــات

قســم الآداب واللغة العربية

محاضــرات في مقيــاس النقد الأدبــي القديم

لطلبــة السنــة الأولى ليسانس (ل م د)

المحاضــرة الثامنـــة بعنــوان: نظريـــة النظــم

إعداد الدكتورة: سامية راجح

السنة الجامعية: 2020-2021

مفهوم نظرية النظم:

أ- لغة: ورد في لسان العرب في مادة نظم: التأليف: نظمه، نظما، ونظاما، ونظمه فانتظم وتنظم ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السبك والتنظم مثله: ومنه نظمت الشعر ونظمته... وكب شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته[1].

انطلاقا من هذا التعريف يتبين لنا أن النظم يقصد به مطلق التأليف والترتيب دون النظر إلى قوانين الترتيب والتركيب، وضم الشيء إلى شيء آخر على نسق واحد.

والنظم عند فيروز الأبادي هو: التأليف وضم الشيء ونظم اللؤلؤ ينظمه نظما ونظاما ونظمه: ألفه وجمعه في السلك فانتظم وتنظم[...] والنظام كل خيط ينظم به لؤلؤ ونحوه[2].

ومن هذا المعنى اللغوي جاءت فكرة النظم، ومعناه وضع الكلم وفق نظام مخصص به: تنسق دلالة الألفاظ وتتلاقى معانيها، على الوجه الذي يقتضه العقل ويرتضيه المنطق وهذا لا يتم إلا بضم الكلام إلى بعضه بتنسيقه على نسق واحد.

ب- اصطلاحا: يختلف مفهوم النظم من باحث إلى آخر باختلاف تخصصاتهم ويورد فيما يلي بعض التعريفات.

"النظم هو تأليف الكلمات والجمل متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العدد"[3].

وقدم قدامة ابن جعفر تعريفا للنظم فقال: ومن أنواع إئتلاف اللفظ مع المعنى المساواة، وهو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزداد عليه ولا ينقص عنه لا بفضل أحدهم على الآخر"[4].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون مادة نظم، دار المعارف، القاهرة، ج5، ص4469.

(2) الفيروز الأبدي، القاموس المحيط، المطبعة الأميدية، ط3، 1301هـ، مادة نظم، ص1162.

(3) الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، 1985، ص261.

(4) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982، ص171.

هذا يعني أن النظم يمثل حالة الإئتلاف بين اللفظ والمعنى يجعل المعاني قابلة للغرض المقصود، باعتبارها معاني موجودة في الطبيعة لا صورها في الأذهان.

وتحدث سبويه عن النظم فقال: "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة، فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم وهو محال كذب"[1].

يعبر سبويه عن النظم فيجعل مدار الكلام على تأليف العبارة وما فيها من حسن أو قبح أو استقامة أو إحالة والمعنى بما فيه من صنف أو كذب.

فيشتمل النظم عنده حسن النغم، ودقة التوقع الداخلي وهو الذي ينجم من تأليف الحروف في النغم كما ينجم عن المفاضلة وأطرادها. فهو يرى فضل القرآن متمثل في بديع نظمه.

نشأة نظرية النظم:

نظرية النظم لم تولد من فراغ ولم توجد هكذا فجأة دون إشارات وإرهاصات تهيئ لها ففكرة النظم لم تغادر فكرة الناقد العربي منذ أن عرف نظم الكلام نثره وشعره فلا يعقل أن يصل الأمر لهذه النظرية إلى مثل هذا النضوج وهذا التكامل والوضوح بين عشية وضحاها

ففي سابقه لفكرة الإعجاز على عموم، فالنظم لا يخص القرآن وحده بل يخص فنون القول عامة فهي نتائج تراكم معرفي كبير وتواصل علمي طويل، هذه الحقيقة قررها وتبناها جل من تناول نظرية النظم بالدراسة والتحليل.

وفيما وصل إلينا يرى الباحثون أن أول من أشار إلى النظم هو "ابن المقفع" في عباراته التي أشار فيها إلى صياغة الكلام في كتابه "الأدب الصغير" فقال: "فإن مزج الناس من أن يكون لهم عمل أصيل وأن يقولوا قولا بديعا، فليعلم الواصفون المخبرون أن أحدهم –وإن

[1] محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي، دار المعارف، ط3، ص105.

أحسن وأبلغ– ليس زائدا على أن يكون كصاحب وأكاليل، وضع كل ...موضعه، وجمع إلى كل لون شبهه وما يزيده بذلك حسنا، فسمي بذلك صائغا رقيقا كصناعة الذهب والفضة، ضعوا فيها ما يعجب الناس من الحلي والآنية [...] فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه أو يستحسن منه. فلا يعجبن إعجاب المخترع المبدع، فإنه إنما اجتباه كما وصفناه[1].

وأخذ البلاغيون هذا الكلام وأداروه في كتاباتهم من غير أن يتسيروا إلى ابن المقفع، قال الجاحظ: فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وحبس من التصوير[2]، وكان أول من ذكر أن القرآن معجز بنظمه وألف في ذلك كتاب سماه نظم القرآن غير أنه ضاع من يد الزمن.

يعد الجاحظ دارس فكرة النظم في تأليف ومصنفات عدة. منه كتاب الصناعتين للعسكري الذي يرى أن حسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا. أما سوء التأليف ورداءة الوصف والتركيب فهو نوع التعمية، فإذا كان المعنى سيئا ووصف الكلام رديا، لم يوجد له قبول ولم يظهر عليه طلاوة [...][3]، لذا يرى أبو هلال العسكري أن حسن الوصف توضع الألفاظ في موضعها، وتكمن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقييم والتأخير والحذف والزيادة، إلا حذفا لا يصغه الكلام، ولا المعنى وتضم كل لفظة إلى شكلها وتضاف إلى نفقها[4]

ويرى أن سوء الرصف تقييم ما ينبغي تأخيره منها: وصرفوا عن وجودها وتغيير شكلها وتضاف إلى نفقها.

---

[1] ابن المقفع، الأدب الصغير، مكتبة الحياة، دط، بيروت، د.ت، ص319.

[2] الجاحظ، الحيوان، تج: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، 1969، 133/3

[3] الجاحظ، الحيوان، 9/4.

[4] الجاحظ، الحيوان ، ص120.

ويرى أن سوء الرصف تقييم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفوا عن وجودها وتغيير صيغتها ومخالفة الاستعمال في نظمها. [1]

أسس نظرية النظم:

أ- النظم: عند عبد القاهر الجرجاني تصور العلاقة النحوية بين الأبواب كتصور علاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه، وتصور علاقة التعدية بين الفعل والمفعول به، وتصور علاقة التسببية بين الفعل والمفعول لأجله، لقوله: "وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ونهاية لا تجد لها ازديادا بعده[2]

ب- الترتيب: انتهى عبد القاهر الجرجاني إلى أن الميزة البلاغية تكمن في المعنى الذي تحدثه الألفاظ إذا ألفت على ضرب خاص من التأليف.

ت- الموقع: يعتبر هذا العنصر شديد الصلة بعنصر الترتيب، لأنه لا يمكن أن يتحقق النظم الذي هو مدار البلاغة بترتيب المعاني في النفس فقط بل لابد من العلم بموقعها[3].

ث- التعليق: ربط عبد القاهر الجرجاني نظريته بمفهوم التعليق الذي اعتبره محور هذه النظرية وعمادها الرئيسي والذي قصد به إنشاء العلاقات اللفظية والمعنوية والحالية[4].

---

[1] محمد عباس، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، ص66.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص69.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص45.

[4] المصدر نفسه ص40-41.